قضية أولية الشعر الجاهلي

أولية: أي النشأة أو البدايات الأولى للشعر الجاهلي حتى وصل إلى مرحلة النضج الفني الذي نراه متمثلاً في أشعار قدماء الجاهلية مثل: أصحاب المعلقات ورأسهم "امرؤ القيس" وغيرهم من الشعراء.

أما الرسائل التي لم تصل إلينا فهي جاهلية مجهولة، فأشعارهم لم تصل إلينا بخلاف الأشعار التي وصلت إلينا بلغتها وأوزانها.

س) ما الرغبة في البحث في الأولية؟

الإسلام جاء ليعزز قيم الجاهلية (كالصدق والشجاعة وحماية الجار) وحرّم القيم والأفكار العقيمة كالثأر، وكذلك في العصور الإسلامية كان الخلفاء يأتون بمؤدب ليعلم أبناءهم أشعار الجاهلية فهذه ربت الناس على القِيَم.

كان عبدالله بن عباس يقول:" من أشكل عليه شيء من القرآن فليرجع إلى أشعار العرب".

فاللغة والشعر وصل إلينا تام الأوزان والقوافي، واستقرت لغتها ولا نستطيع تغيير بها شيء، وحتى لو حاول العلماء لكن بدون جدوى، فلن يستطيعوا تبديل النصب أو الرفع أو الجر، فقد حفظه القرآن الكريم في قوله تعالى: " إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون".

1- الرغبة في معرفة جذور الشعر الجاهلي وطفولته، وهل ولدت كاملاً أم تدرجت في مراحل؟ وما عوامل نشأته؟

2 – الرغبة في معرفة السبب لنظم هذا الشعر ومعرفة نشأتها وتأثيرها في اللغات.

3 – الرغبة في معرفة نشأة هذه اللغة (هل لها طفولة أو بداية في تطورها؟) وتطورها وهل تأثرت هذه اللغة بغيرها من اللغات والموسيقى والأوزان وما سوى ذلك.

- فاللغة العربية ليس لها تاريخ أو تطور معين، فالدليل أن المعلقات لم تتطور إلى الآن فاللغة على حسب كلام الفرنسي "أمسترلان" يقول: "هذه اللغة ليس لها طفولة وليس لها شيخوخة".

س) ماذا قال القدامى عن الأولية (نظرية الأولية)؟ (ناقش رأيي أبي عمرو بن العلاء والجاحظ)(فيرست)
"نكتب رأييهما مع الأولية المعروفة والمجهولة"
أ – كلام أبو عمرو بن العلاء البصري رأس الكوفة كان عالم بالشعر واللغة العربية (نحوها، وصرفها، واشتقاقها) وأصبح من علماء القرآن وأحرق ما لديه من الكتب وأصبح أحد القراء السبع:

"ما لسانُ حِمير بلساننا ولا عَرَبيّتَهم بِعَرَبيّتنا"

هنا يريد أن يوضح عُمُر الشعر الجاهلي وأهميته وينفي الأشعار التي أتت من حِمير قبل الإسلام ولكن حِمير أصل العرب من اليمن، فعمرو ينفي أشعار حمير وما قبل حمير من عاد وثمود.

ب – رأي ابن سلام الجمحي (فحول الشعراء): "إن أول من غيّر لغة أبيه هو إسماعيل بل إن لغة إسماعيل هي العربية التي نزل بها القرآن وجاء بها الشعر الجاهلي وجميع العرب من أولاد إسماعيل إلا بقايا جرهم؛ فهو يقول أن إسماعيل أب العرب وأنه تكلم لغة عربية غير العربية الخاصة بالعرب؛ ولكن هو تعلم عن قبيلة جرهم فهو تزوج منهم فكيف ذلك؟

ج – رأي الجاحظ في كتابه الحيوان: "وأما الشعر فحديث الميلاد صغير السنّ، أول من نهج سبيله وسهّل الطريق إليه هو: امرؤ القيس، والمهلهل ابن ربيعة التغلبي، عمرو بن قميأة البكري، وإذا استظهرنا الشعر وجدنا له إلى أن جاء الله بالإسلام، خمسين ومائة عام قبل الإسلام".
فإذا استظهرنا بغاية الاستظهار مائتي عام فالجاحظ يتحدث عن الشعراء التي وصلت إلينا أشعارهم من هذه الفترة.
*** ذروة الشعر الجاهلي هي المعلقات ولكن الشعر الجاهلي لم يبدأ بالمعلقات بل سبق المعلقات فلذلك:**

فالأولية في العصر الجاهلي(الشعر) يقسم إلى:
أ – الأولية المجهولة: غير معروفين.
ب – الأولية المعروفة: هي الأشعار التي وصلت إلينا قبل الإسلام بـ 200 عام مثل قصائد: لبيد بن ربيعة، المتلمس، المهلهل، عنترة، عمرو بن قميئة، أما امرؤ القيس فهو رأس فحول رأس الجاهلية وقصيدته هي معلقة العرب الأولى ومطلعها:

قِفا نبكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزِلِ بِسِقْطِ اللوى بين الدَّخولِ فَحوَمَلِ

فهنا يقصد في المطلع ليس الحبيبة وإنما مُلك والده عند أطلالها فهو يطلب جيشاً للانتقام، فهو يبكي على والده عمرو وحِجْره.

أولا: إشارات الأولية عند الشعراء(المعروفة)

أشاروا الشعراء إلى الأولية الجاهلية المعروفة:

1 – أشار ابن سلام الجمحي في كتابه: أن أول من ذكر القصائد وقصّدها (أطالها) وذكر الوقائع هو المهلهل بن ربيعة التغلبي في مقتل أخيه كليب بن جَسّاس البكري في حرب البسوس التي استقرت (40) سنة.

2 – وذكر الفرزدق في شعره أن هذه الأولية تعود للمهلهل التغلبي أول الشعراء حيث يقول:

وَهَبَ القَصائدَ لِلنّوابِغِ إذْ مَضوا وأبو يزيد وذو القُروحِ وجرْولُ

وأخو بين قيسٍ وهُنّ قَتَلْنَهُ ومُهَلهلُ الشعراءُ ذاك الأوّلُ

3 – ذكر الأصمعي: أن المهلهل أول من يُروى له كلمة تبلغ 30 بيتاً من الشعر، فهو سبق امرؤ القيس وهو أكبر من سِنّاً لذلك رأى الجاحظ أنهما اللذان نهجا سبيل الشعر وسَهّلا الطريق إليه.

4 – أول من ذكر الأطلال امرؤ القيس وتآثَره أبو داؤود الإيادي فيقول:

عُوجى على الطّلَلِ المَحيلِ لَعلّنا نَبْكي الدّيارُ كما بَكى ابنُ خُزامِ

فكان أول من بكى "ابن خزامى"؛ الذي كان كثير البكاء وهناك اضطراب في اسمه فَيُقال " ابن خُذام، أو حمام أو حُزام" لماذا اختلف في اسمه؟ أنه ليس شاعراً، فكان عندما يذهب للديار كان يبكي وليس يكتب أو يقول شعراً، بل بكاءً فسُيولوجيّاً. وأما من أشار إلى داؤود الإياديّ هو الشاعر الأموي سُراقة البارقيّ حيث يقول:

وأبو داؤودَ شاعِرُ أمّةٍ أثَرَتْ نُجومَهُ ولَمّا يأمَلِ

فامرؤ القيس أول من بكى واستبكى صحبِه وابتدع أشياء يحبها العرب فشبه النساء بالظباء وشبه النخيل بالعقبان. وأيضاً يوجد كلام للمهلهل ولكن لم يقف على الأطلال (أي أشغَلَتْهُ القتال عن الوقوف على الطلل بسبب حرب داحس وغبراء) فيقول:

كَيْفَ يَبْكي الطّرولَ من هو رَهْنٌ بِطَعْنِ الأنامِ جيلاً فَجيلاً

5 – لبيد بن ربيعة شاعر مخضرم أدرك الإسلام 60 عاماً وفي الجاهلية 60 عاماً، وقد أسلم وحسن إسلامه فقد توفّق في كتابة الشعر؛ فيقول:

الحمْدُ للهِ لَمْ يأتِني أجَلي إلا وقَدْ لَبِسْتُ مِنَ الإسْلامِ سِربالاً

وله معقلة مطلعها: عَفَتِ الدّيارُ مَحلّها فمَقامُها بِمِناً تَأبّدَ غَوْلُها فَرِجامُها

6 – عمرو بن كلثوم: تكون أمه ليلى بنت المهلهل وأبوه ملك كذلك، فبعدما قتل عمرو بن هند قال:

إذا بَلَغ الفِطامُ بيْنَنا تَخِرُّ لنا الجَبابِرةُ ساجِدينا

7 – أول من قال الشعر "المرقش، المهلهل"، ويُقال أن عمرو بن قَميئة البكري (كان من أجمل أهل زمانه) أنه أول الشعراء وتعلم منه امرؤ القيس وهذا خطأ؛ لأن عمرو رافق امرؤ القيس للقسطنطينية وقد كان الدليل "السّمَوأل" وقد شعر عمرو بن قَميئة بالخوف عندما وصلوا لحوران فبدأت الأماكن والوجوه تتغير، فشعر أن هذه الرحلة لا فائدة منها فقال لامرئ القيس "هيا لنعود من حيث أتينا" فرفض امرؤ القيس وقال:

بَكى صاحِبي لمّا رأى الدّرْبَ دونَهُ وأيْقَنَ أنّا لاحقان بِقَيْصرا

وقال امرؤ القيس: لا تَبْكِ عَيْنُكَ إنّما نُحاوِلُ مُلْكاً أوْ نَموتُ فَنُعْذَرا

وقد مات امرؤ القيس قبل أن يصل ومات في أنقره، فامرؤ القيس جمع صعاليك العرب وذؤبانها (قطاع الطرق) ليأخذ بثأر أبيه ولم يستطع فتركه الناس.

8 – طَرَفة بن العبد وعبيد بن الأبرص، يقول ابن سلام الجمحي: "ذَكَرَ قِدَم عهدهما وأنهم أوائل الشعراء وقال إنّ أشعارهما ضاعت".

فعبيد بن الأبرص فهو من قبيلة بني أسد وكانت الظروف تطارده فضاع شعره لأنه تشرّد بعدما قُتِل "حِجْر بن عمرو" فقال شعره في الصحراء، ولهذا نقول إن شعره ضاع ليس بسبب قِدمه كما قال ابن سلام وإنما بسبب الظروف ومن شعره معلقته:

أقْفَرَ من أهلِهِ ملْحوبُ فالقُطبِياتِ فالذَّنوبُ

وأما طرفة نُفسّر أن شعره لم يَضِع وإنما تُوفّي وهو صغير السّن، ومطلع معلقته:

لِخَوْلَةَ أطْلالٌ بِبُرْقَةِ ثَهْمَدِ تلُوحُ كَبَاقِي الوَشْمِ فِي ظَاهِرِ اليَدِ

وهنا يطالب بحقّه بعد وفاة والده فأكل حقه أخواله وقالها في عمر 10 سنوات فيستحيل أن يكون أخذ من أحد وقال لهم:

ما تَنظُرونَ بِحَقّ وَردَةَ فيكُمُ، صَغُرَ البَنونَ، ورَهطُ وردةَ غُيّبُ

ثم قال: أدُّوا الحُقوق تَفِرْ لكم أعراضُكم إنّ الكريم إذا يُحَرَّبُ يَغضَبُ

ونُهبت إبله فشعر بالذل والهوان حيث جاء عند أخواله مَعْبد فقال قصيدته فاستردّ إبِله من أخواله:

وفي الحَيِّ أحوى يَنْفُضُ المَرْدَ شادِنٌ مُظاهِرُ سِمْطَيْ لؤْلؤٍ وزَبَرْجَدِ

وفي صغر طرفة قال: "استنوق الجمل" فسمعه مسيب بن عَلس حيث كان يقول قصيدة فقال من هذا" فقالوا" طرفة فقال أخرج لسانك فإذا هو أسود كالظبي وهي من علامات الجمال عند العرب وكذلك السّمار وسواد العين ويُقال أنه قتله لسانه حيث هجا عمرو بن هند فقال: فليتَ لنا، مَكانَ المَلْكِ عَمْرٍو، رغوثاً حولَ قبّتِنَا تخورُ

9 – الأفوه الأوديّ (قصائده تَمتلئ بالحكمة ويقال إنه عاصر المسيح) ومن شعره:

وَإنّي لَأُعطي الحَقَّ مَن لَو ظَلَمتُهُ أَقَرَّ وَأعطاني الَّذي أَنا طالِبُ

وَآخُذُ حَقّي مِن رِجالٍ أَعِزَّةٍ وَإن كَرُمَت أَعراقُهُم وَالمَناسِبُ

ثانياً: الأولية المجهولة

هي التي سبقت زمن المعلقات، وليس لها بداية تصل إلى قرون ما قبل الميلاد.

1 - وردت إشارات عند الشعراء ومنها مطلع شعر عنترة:

هل غادر الشعراءُ مِنْ مُتَرَدّمِ أمْ هلْ عَرَفْتَ الدّارَ بعْدَ تَوَهّمِ

ومعنى قوله: هل ترك الشعراء شيء لنقوله، وأنهم أوجدوا كل الإيهامات والمسائل ولكن لم تصل إلينا.

(أي على كلامه لم يبقَ لنا ما نَرْقع من كلامهم) فهو قال هذه القصيدة عندما عَيّره أحد العبسيين بشعره أنه ليس بشعر وقال له هذا الرجل أيضاً "أنت عبد" بعدما والده حرره من عبوديته ب40 سنة، فقال عنترة:

يُنادُونني في السِّلم يا بْنَ زَبيبةٍ وعندَ صدامِ الخيلِ يا ابنَ الأطايبِ

فكانوا يُعيّرونه بابن زبيبة وفي الحرب ابن الأكارم وفي ضمن معلقته يذكر عبلة ومعنى عبلة (البيضاء) وفي قصيدته يقصد الحرّية حيث الشعراء في الجاهلية يذكرون الشيء الجميل بالمرأة ويبنون القصيدة عليها والدليل أن عبلة ليست فتاة أن العرب قديماً كانوا يسمّون البنات بأسماء قبيحة لا تدل عليهم (مثل شعثاء، سَوْدة، زرقاء) فزرقاء ليس اسم جميل عند العرب قديماً، فمثلاً الذي عيونه زرقاء كانوا يظنون أنه ملموساً؛ فكيف لشخص أن يُسمّي ابنته بعبلة البيضاء!

2 – قول كعب بن زهير: ما أرانا نقولُ إلا رجيعاً وَمُعاداً مِنْ قَوْلِنا مَكْروماً

ومعنى قوله: نحن الشعراء لا نقول شيء جديد وإنما نعيد كلام القدامى

3 – ابن سلام الجمحي في كتابه طبقات فحول الشعراء وابن قتيبة يرى ويصف شعر هذه المرحلة:

"أن الشعر كان مقطوعات حيث يقول ابن سلام في كتابه: لم يكن لأوائل العرب من الشعر إلا أبيات يقولها الرجل في حاجته وإنّما قُصّدت القصائد وطُوّل الشعر على يد (عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف)

- يريد أن يسقط أشعار عاد وثمود وحِمْيَر واليمن.

4 – أ - دُوَيْد بن زيد القضاعي ومن شعره: أَلْيَوْمَ يُبنى لِدُوَيدٍ بَيتَهُ لَو كانَ لِلدَهرِ بَلىً أَبلَيتُهُ

ب- وأعصر بن سعد بن قيس عيلان ومن شعره: وَقالوا يالَ أَشجَعَ يَومَ هَيجٍ وَوَسطَ الدارِ ضَرباً وَاِحتِمايا

ج – والأبرش مؤسس حكومة الحيرة في جنوب العراق.

5 – الأصمعي: بَيّن ظهور القصائد الطويلة المؤلفة من 30 بيت بين ظهور الإسلام بـ 400 سنة قبل هذه المدة وأول من هلهل القصائد هو المهلهل بن ربيعة التغلبي.

يُقال أن بحر الرجز أكثر البحور استعمالاً، لأنه يناسب المقطوعات الصغيرة، لذلك يسمونه أصل البحور.

س) أيهما أسبق الشعر أم النثر؟

يقول ابن رشيق القيرواني: كان الكلام كله منثوراً فاحتاجت العرب الغناء بمكارم الأخلاق، وذكر أيامها وأوطانها النازحة وفرسانها الأمجاد لتحرك الأنفس إلى الكرم وتعلم أبناءها على حسن القيم.

الرد) فابن رشيق يقصد أن النثر أسبق من الشعر، فإذا كان ابن رشيق يقصد النثر العادي(كلام العامة) فقد أصاب، ولكن إذا كان يقصد النثر الفني مثل الخطابة فقد أخطأ، فالشعر أسبق من النثر الفني فالشعر يظهر بعد أن ترتقي الحضارة؛ فيُقال: وصلَنا من الشعر تسع أعشار النثر وإنّما النثر عُشر لأنه يصعب حفظ النثر.

أيهما أسبق في حياة الأمم الشعر أم النثر؟

1 – من منظور العاطفة والعقل: كان بالبدايات بالعواطف وليس بالعقل، فالشعر منتوج العاطفة أما النثر بالعقل لأنه يحتاج إلى فن وترتيب، والدليل حرب البسوس، فقد دامت 40 عاماً لأنهم كانوا يستخدمون العاطفة وليس العقل.

2 – من منظور السجع والقافية: السجع عبارة عن محاكاة للشعر (يلفت انتباه المستمع بجمال العبارات)، أما القافية فهي خاصة للشعر موسيقاها تُطرب المستمع وتؤثر عليه وتجعله تحت سيطرة العاطفة فيُحفظ بسرعة.

- ما هو دافع الكلام الشعري؟ الشعر وليد العاطفة والمشاعر.
- هل السجع أخذ من القافية؟ نعم، لهذا الشعر أسبق من النثر.

ناقش رأي بروكلمان ومرجليوث في موسيقى الشعر الجاهلي(فيرست). "نكتب رأييهما ونناقش مع رأي المحدثين"

آراء المستشرقين(المُحْدثين) في موسيقى الأشعار

1 – بروكلمان: يرى أن بحور الشعر العربي أصله بحر الرجز ويعود هذا البحر إلى أسلوب السجع -- وهو النثر المُقفّى المنبعث من حاجات سحرية تؤثر في الإنسان وتدفع الشخص إلى ما يرده الشاعر، ومن هذه الحاجات السحرية "الأغاني الشعبية".، وقال:" أن العرب بدائيين فلا بُدّ من أن يكون الغرض من الشعر الإتيان بأمر سحري.

ويقول:" أن قصائد الرثاء غايتها إطفاء غضب المقتول، ولكيْ لا يعود مرة أخرى إلى الأحياء فينتقم أو يؤذيهم، ويقول الهجاء يستنظر اللعنات على المهجيّ".

الرد) مقولة:" أول ما صلُح في الأرض هي بلاد العرب؛ فالأرض كانت ماء، فأول أرض ظهرت بلاد العرب".

وكذلك: العرب لم يكونوا بدائيين، فلهم تاريخ من زمن إبراهيم لقوله تعالى: {وأذِّنْ في النّاسِ يَأتوكَ رِجالاً}، والرجال هم العرب، والقصة المعروفة (مع هاجر وجرهم) فقمة الأخلاق هذه لا تدل على التخلف، وكذلك في عهد موسى عليه السلام

عندما كان بني إسرائيل عندما كانوا يريدون دخول المسجد الأقصى في سورة الأعراف، فكان سكانها الكنعانيون وأصولهم عرب فخاف بني إسرائيل من دخولها لأنهم جبارين فهذه القوة لا تأتي من تخلف وفراغ (دلالة على قسوة قلوب العرب وقوتهم مع الزمن).

فالعرب تخلفوا بعد دخول الأصنام إلى مكة والذي أدخلها عمرو بن لحي، ولكن تخلفهم لا يصل إلى تخلف الغربيين في ذاك الوقت، فتخلف العرب متحضر بالنسبة إلى الغرب بكثير من ناحية الشيم والأخلاق والبناء والقوة والأنفة.

والرد الثاني على الرثاء: أن أشعار الرثاء نقولها لكي نغرسها في الأبناء ليعرفوا قيمة هؤلاء الموتى.

2 – مرجوليوث (أستاذ طه حسين): يقول إن العرب في الجاهلية لم يعرفوا من الموسيقى الشعرية سوى بحر الرجز، وقال إنها أمة بدائية متخلفة، وأن هؤلاء الأجلاف لا يمكن أنهم وصلوا إلى هذا المستوى من الذوق الفني المملوء بالحكمة والأوزان الشعرية، ويقول أنّ الأوزان نضجى بعد الإسلام؛ أي أنه يشك في الأشعار الجاهلية، وأن العرب لم يعرفوا سوى بحر الرجز الذي يناسب طبيعة العرب البدائية.

الرد) عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض..." فكيف للعرب أن يكونوا متخلفة وأجلاف، إذا كانوا متخلفين لماذا سيصلون مشارق الأرض ومغاربها، لهذا فالمستشرقين لا يميزون بين العرب والأعراب فكيف لهم أن يُؤوّلوا إلى ما هو شعر أو نثر.

آراء العرب المُحْدثين

1 – الرافعي: "إنّ الشعر العربي تطوّر عن محاكاة الأصوات المبسطة التي يسمعها العرب في بيئاتهم ومحيطهم في الاهتزازات الجسمية ووقع الخيل فلكل منها موسيقى ووزن خاصة به".

رأيه الثاني: ويقول "أن عَبيد الأبرص كان شعره في اضطراب؛ حيث تمثل طفولة الشعر الجاهلي، لأنه فيها انتقال من بحر لبحر، واضطراب ابن الأبرص هو اضطراب الرواة وأنه حُفظ من جيل إلى جيل".

التي مطلع معلقته: أَقْفَرَ مِنْ أهلِهِ مَلْحوبُ فالْقُطبِيّاتُ فالذّنوبُ

أي يقول: "أن هذا الاضطراب يُعد طفولة الشعر العربي".

الرد) فهي لا تمثل طفولة الشعر الجاهلي، فعبيد عاصر امرؤ القيس ورد على بعض قصائده، فنقول سبب ضياع شعر عبيد أنه مات هو وعائلته في الصحراء وليس لقِدَمِه، بل هرباً من المناذرة.

2 – نوري حمودي القيسي "تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام":

يقسم القصيدة العربية منذ نشأتها إلى مرحلة نضوجها إلى مرحلتين:

أ – القصيدة الغيبية: كانت وظيفة القصيدة وظيفة دينية إذ كان الشعر مَحْظَ ترديدات وترانيم بدائية يُقصد بها الشعر، فقبل أن يصبح الشعر فَنّاً ناضِجاً من الكمال اللغوي والمعنوي كان عبارة عن رُقى وتعويذات يُرسلها الكاهن كما يُرسل السحرة طلاسمهم، حيث أن الشاعر كان يعمل في معابد الآلهة وهياكلها.

- وكان شعره إيحاءاً (يبني رأيه على مرجليوث) غيبيّاً يستمطر به الخير والنعيم على الناس من خلال المدح1.

- ويستمطر اللعنة والشقاق في حالة الهجاء2.

- ويستمطر الوصف3 للسيطرة على الخوف من الكون والطبيعة وفي وصف الأمطار والرياح.

- ويتقرب إلى الآلهة في المعابد ويلتمس الرضى عن طريق الغزل4.

فنرد عليه) على الكلام الأول أن للعرب لم يكن عندهم معابد مثل البوذيين والصينيين والهنود.

والرد الثاني) أن الكاهن يُخرج أصوات مسجوعة غير مفهومة بخلاف الشاعر ليوهم المستمع أنه يتكلم مع الشياطين، فَيُصدر أصوات مهلوعة (مخيفة) ليخيف المستمع ليدفع له الكثير من المال.

ب – القصيدة الواقعية: القصيدة التي ارتبطت بحياة العرب بواقع وهموم الناس وضموها في حِلّهم وترحالهم وجوعهم وشبعهم، فتتحدث عن الواقع (الحياة اليومية) ولا تتحدث عن السحر.

1 - ومثل ذلك قصيدة عنترة يقول عن الحرية: وتُطْرِبُني سُيوف الهِنْدِ حَتّى أَهِيم إلى مَضارِبِها اشْتِياقا

وإنّي أعْشَقُ السُّمْرَ العَوالي وغَيْري يَعْشَقُ البِيضَ الرِّشاقا

وكذلك: ولقَدْ ذَكَرْتُكَ والرّماحُ نَواهِلُ وبيض الهند تقطر من دمي

فَوَدَدْتُ تَقْبيلَ السيوفِ لأنّها لَمَعَتْ كبارقِ ثغرُكَ المُتَبَسِّمُ

فذلك ما كانت حياة العرب عليه، وهنا نؤكد أن عنترة لم يقصد عبلة فتاة جميلة وإنما الحرية فعنترة بعشق السيوف لأنها السبب في حريته ووجدانه.

2 – وكذلك قصيدة زهير بن أبي سلمى قصيدة السلام لقبيلة بني عبس وفزارة عندما قال:

أَمِنْ أُمِّ أَوْفى لَمْ تَكَلِّمِ بِحَوْمانَةِ الدَّرّاجِ فَالْمُتَثَلِّمِ

3 – لبيد بن ربيعة العامري حيث قال قصيدته المشهورة بعدما نفاه القاضي إلى نجران حيث يحن إلى بلاده نجد فيقول:

عَفَتِ الدّيارُ مَحَلُّها فَمَقامُها بِمنًى تأبَّدَ غَوْلُها فَرِجَامُهَا

***فنوري حمودي القيسي: رفض أن يكون الرجز عند العرب أصل بحور الشعر لأن أوائل الأشعار كانت بأوزان متطورة قبل أن ينضج الرجز؛ فنؤكد كلامه على أن بحر الرجز نضج في العصر الأموي وليس كل الشعر الجاهلي بحر رجز.**

تقييد الشعر الجاهلي

لَقد قَيّد العرب جليل كلامهم ولكنهم لم يكتبوا الشعر فمن أقوال تقييد العرب للشعر:

1 – أشار الجاحظ أن كل أمة من الأمم اعتمدت على ضرب من الضروب وأنها استبقت مآثرها بالشعر.

2 – شعر المديح: كان شعراء المديح يقيّدون أشعارهم لما لها من أهمية، فيجب أن يكون العرب قيّدوا أشعارهم قبل وصولها إلى الممدوح مثل "شعراء الحوليات"، وبعض شعراء التكسّب كانوا يقيّدون أشعارهم.

من الشعراء الذين كانوا يعرفون الكتابة:

1 – عَدِيّ بن زيد العُبادي: كان مُترجم في ديوان كسرى.

2 – لَقيط بن يعمر الإياديّ: كان كاتب في ديوان كسرى والفرس وهو أول قتيل من أجل قوميّة وطنية، حيث أنقذ قومه من بطش كسرى؛ حيث أرسل لهم رسالة.

3 – المرقش وأخوه جرملة: كان لهم علاقة بالمهلهل وبينهما رسائل.

4 – الربيع بن زياد العبسي: شاعر، فارس، جواد.

5 – كعب بن زهير وأخيه بُجير: كانا يريدان أن يستطلعا النبي الجديد... فأسلم بُجير فهجا كعب النبي(ص) وأخيه، وبعدما أسلم قال قصيدته للنبي(صل):

بانَتْ سُعادُ فَقَلْبي اليَوْمَ مَتْبولُ مُتَيَّمٌ إثْرَها لم يُفْدَ مَكْبولُ

6 – لبيد بن ربيعة: بعدما نَفي إلى نجران كان يكتب لقبيلته نجد. 7 – الزبرقان بن بدر.

8 – النابغة الذبياني: كان تحت بلاط النعمان بن منذر وقد شيع أنه أحب المُتجردة (أي زوجة الملك) فقال معلقته لتبرئة نفسه التي مطلعها: يا دارَ مَيَّةَ بالعَلْياءِ فالسّنَدِ أقْوَتْ وطالَ عَلَيْها سالِفُ الأبَدِ

لأنه قد هرب من النعمان إلا أنه حنّ وقال: فإنّك كالليلِ الذي هوَ مُدْركي وإنْ خلتُ أنّ المُنْتأى عَنكَ واسعٌ

فبعد فترة كُشف أن المنخل اليشكري أن له علاقة مع زوجته فقتلهما.

س) كيف كانت القصائد تحفظ دون تدوين أو كتابة؟

الشعر الجاهلي حَفِل بأدوات الكتابة، وشبهوا الأطلال بالكتابة، فالأدلة الصريحة تثبت أن الشعراء كانوا يقيّدون الشعر:

1 – قصيدة لقيط بن يعمر الإياديّ، في قصيدته لتحذير قومه من الفُرس، حيث كان كسرى يريد أن يُنهي الوجود العربي، وبني إياد، والقبائل في جنوب العراق حيث يقول:

سَلامٌ في الصحيفةِ من لَقيطٍ إلى مَنْ بالجزيرةِ من إياد

خَتْمُ هذا كِتابي إليكم والنذيرُ لكمْ لِمَن "رأى رأيه منْكم ومَنْ سَمِعَ"

2 – الحارث بن كِلدة أرسل إلى ابن عمّه لحل مشكلة بينهما مشكلة قائلاً:

ألا أبْلِغ مُعاتَبَتي وقولي بني عَمّي فقد حَسُنَ العِتابُ

كَتَبْتُ إليهم كُتُباً مِراراً فَلَمْ يرْجِع إليّ لما جوابُ

تدوين الشعر الجاهلي

1 - كان أبناء القبائل يحفظون أشعار شعراءهم ليفتخر كل منهم بقبيلته أمام الآخرين.

أ - رُوِيَ أن النعمان بن المنذر أنه كان له ديوان يشتمل على أشعار الفحول وما مُدِح به، هو وأهل بيته وأخذ هذه الأشعار إلى أهل الكوفة ثم الأمويين.

ب - ويُروى أنه كان عند أهل الحيرة في كنائسهم مدارج كُتِب عليها بعض الأسفار والأشعار.

ج – يُروى أنه كان لبني تميم كتاب ذكره بِشر بن أبي خازم الأسدي في أشعاره حيث قال:

وَجَدْنا في كِتابِ بَنِي تَميمٍ: أحَقُّ الخَيلِ بالرَّكضِ المُعارُ

- أدلة عقلية وصريحة أنه كان عند العرب تدوين واقتصرت ذلك على الحيرة وأشعار بني هذيل، وبني تميم وأهل الحيرة ويدل ذلك على تدوين العرب للشعر.

أما اقتصارها على الحيرة وملوكها لأنها كانت دولة كاملة وتامّة، وأمّ ديوان الهذليين كُتب في العصر الجاهلي ووصل إلى عصر التدوين.

وأمّا بنو تميم فيقول سلامة بن جندل التميمي:

لِمَن طَلَلٌ، مِثلُ الكِتابِ المُنمَّقِ خلا عهدهُ بين الصُّليبِ فمطرقِ

2 – شعراء التكسّب لا بدّ أنهم كتبوا وقَيّموا أشعارهم.

3 – شعراء الحوليات لابد من أنهم كتبوا قصائدهم ونقّحوها.

4 – والشعر الجاهلي امتلأ بأدوات الكتابة، فهي لم توجد عبث وإنما كانت تستخدم.

كيف وصل الشعر الجاهلي إلى عصر التدوين في القرن الأول والثاني (أو ما الوسائل التي وصلت إلينا في التدوين في عصر التدوين)؟

- أولا: طبقات أو شعراء الرواة (أي الطبقة الأولى من رواة الشعراء) ينقسم إلى قسمين:

1 – شعراء يرون شعر شاعر بعينه فيحفظونه ويتلمذونه ويحتذون نُظُمه في كتابة الشعر.

ومن أشهر المدارس: مدرسة الصنعة التي يرأسها "أوس بن حجر" الذي روى له زهير بن أبي سلمى، ومَنْ روى لزهير هما: ابنه كعب والحطيئة، أما الحطيئة روى لكعب بن زهير، وروى للحطيئة "هُدْبة بن الخشرم"، وجميل بثينة كان راوٍ لهدبة بن الخشرم، وروى لجميل بثينة كُثَيّر عزة، وساعد بن جؤية الهذلي روى له أبي ذؤيب الهذليّ، وروى للمرقش الأكبر المرقش الأصغر وروى لهما طرفة بن العبد؛

إلا أننا نستبعد أن طرفة بن العبد روى لهما لأنه كان لديه أنفة وكبرياء لا يأخذ من أحد وهو مات صغير السن ويقول:

أنا الرّجُلُ الضَّرْبِ الذي تَعْرِفونَهُ خَشاشٌ كَرَأسِ الحَيّةِ المُتَوَقِّدِ

أما راوية الأعشى: عُبَيد، ويحيى بن مَتّه، كان يرتجل معه ويحفظ شعره وينشر شعره بين الناس فلكل شاعر راوٍ.

2 – شعراء لا يرون شعر شاعر واحد بل يرون شعر شعراء العصر الجاهلي وهؤلاء شعراء القرن الأول الهجري.

وقد اعتقد علماء القرن الثاني الهجري على رواية هؤلاء الشعراء الذين رووا لكل شعراء الشعر الجاهلي وعلى رأسهم (الفرزدق، وجرير، الكُميْت بن زيد الأسدي، والطرماح) وهم صلة الوصل بين الجاهلية وعصر التدوين.

س) لِمَ لمْ يُدوّن أغلب الشعر عند العرب؟

لأن الكتابة لم تكن معروفة آنذاك، والشعر لم يُكتب وكان الشعر كثير، فكان يصعب جمعهم والشعراء كُثر عند العرب، فقد أنْعم الله عليهم بسهولة الحفظ، فكانوا بعضهم يحفظونها من أوّل مرة وكانوا يحفظون أشعارهم ليفاخرون بقبائلهم؛ فالتدوين كان مُكلف ولم يكن متوفر فاعتمدوا على حفظهم.

- ثانياً: الطبقة الثانية من رواة القبيلة:

كان بعض الرواة يرون أشعار قبيلته وكان كل أبناء القبيلة يرون شعر شعراءهم وكان هناك راوٍ يقصده الناس.

أ - يُروى أن المنصور الخليفة العباسي عندما يريد أن يسأل عن شعر شاعر يسأل "هل في المجلس أحداً من تلك القبيلة"، فأراد القول عن عروة بن الورد فوجّه السؤال لثمامة العبسيّ فأخبره عن شعر عروة بن الورد.

فكان الخلفاء يسألون أناس من القبيلة عن شعر قبيلته.

ب – عبد الملك بن مَروان عندما كان يريد أن يسأل عن شعر "ذي الأصبع العدواني" فسأل رجل من جديلة وهي من بطن عُدوان.

ج – جاء رجل إلى الحسن البصري ليشهد له شهادة فسأله الحسن البصري: من أين أنت؟ قال الرجل: من بني نهشة، فقال له: هل تحفظ قصيدة الأسود بن يعفر النهشليّ، فقال: لا، فقال الحسن: لا أقبل لك شهادة.

ومن الأدلة على وجود رواة القبائل:

- في كتاب المعمرين "أبو حاتم السجستاني" يقول سألتُ أشياخنا من الكلبيين وأشياخ بني طيّ وأشياخ بني الحارث.

- ومثله قول قيس بن عمرو النجاشي يهجو بني عجلان وحدث تناقش في عهد عمر بن الخطاب في القصيدة:

قبيلةُ لا يغدرون بذمةٍ ولا يظلمون الناس حبةِ خردلِ

- ثالثاً: الطبقة الثالثة من رواة الشعراء.

يُقال أن لبعض شعراء الفحول أن هناك رواة يصحبونهم في حِلّهم وترحالهم ويحفظون أشعارهم ويدونونها (مثل الأعشى راويته عبيد).

- رابعا: الطبقة الرابعة من رواة الشعراء.

الرواة العلماء: وهم الذين عاشوا في القرن الثاني الهجري، ومطلع الثالث الهجري، ومنهم رواة ثقات ومنهم غير ثقات.

الثقات: أبو عمرو بن العلاء البصري، أبو عمرو الشيباني، الأصمعي، المفضل الضبي، أبو زيد الأنصاري، محمد بن حبيب، وابن الأعرابي، وابن سلام الجمحي.

غير الثقات: حماد الراوية، خلف الأحمر، ويُقال أن حماد الراوية كان يُلحّن الكلام والأشعار بمعنى يغيّرها.

مصادر الشعر الجاهلي: الحماسات، المفضليات والأصمعيات، والمعلقات، والدواوين، ومن الكتب: طبقات فحول الشعراء، والأغاني، والشعر والشعراء.

الصعاليك

أولا : الصعلوك :

1 – لغة : بأنه الفقير الذي لا يملك المال الذي يساعده على العيش وتحمل أعباء الحياة .

وصعاليك العرب : ذؤبانها ، والتصعلك : الفقر وجاء في اللسان : الصعلوك الفقير الذي لا مال له

وزاد الأزهري : ولا اعتماد (أيضا) .

وأيضا الصعلوك : صغير الرأس مدوره ، صعلكةِ الإبل : تساقط وبرها .

2 – في الاستعمال الأدبي (الاصطلاح) : ومعنى الصعلكة في الأصل : الصغر و الانجراد .

ثانيا : فئات الصعاليك .

رأى الدكتور شوقي ضيف أن الصعاليك ثلاثة أنواع :

1 - المنبوذين : يضم الخلعاء والشذاذ الذين نبذتهم قبائلهم لما اقترفوا جرائر مثل :

- حاجز بن عَوف الأزدي . - قيس الحَدّاديّة . - أبو الطَمْحان القَيْنيّ .

2 – الأغربة : هم من ولدتهم أمهات سودا ، فرفض آباؤهم إلحاقهم بأنسابهم مثل :

- السُلَيْك بن السُلَكَة . - الشنفرى الأزدي . - تأبط شرا (ثابت بن جابر) . – الحارث بن شهاب العميري

فهم سود كأمهاتهم لذلك سمّوا أغربة العرب .

ملاحظة : عنترة بن شداد العبسي لم يكن صعلوكا

3 – المحترفين :هم الذين اتخذوا الصعلكة كحرفة وصناعة ، وهذه الصناعة قد تعم قبيلة كاملة مثل :

- قبيلة هُذيل . - قبيلة فهم .

- وقد تخص آحادا مثل : عروة بن الورد العبسي (أبو الصعاليك) كان يجمع المال من الصعلكة ويوزعه على الفقراء .

سبب انتشار الصعلكة

التفسير الجغرافي: الجزيرة العربية عرفت تضاداً في التضاريس بين مناطق سهلية وجبلية وأغوار ومناطق التي تصلح فيها الحياة والمناطق المرتفعة ذات الطقس البارد.

التفسير الاجتماعي: تقوم على مبدأين:

الأول: تؤمن بوحدة القبيلة وهذه الوحدة تشترك القبيلة في كل شيء "وانْصُرْ أخاكَ ظالِماً أو مَظلوماً"

الثاني: أبناء القبائل ثلاثة أنواع:

1 – الأقحاح. 2 – الموالي. 3 – العبيد.

ومن هؤلاء الشعراء: الشنفرى وتأبط شراً الذي له أول المفضليات ومطلعها:

يا عيدُ ما لَكَ مِن شَوقٍ وَإيراقِ وَمَرِّ طَيفٍ عَلى الأَهوالِ طَرّاقِ

التفسير الاقتصادي: كانت تقوم على التجارة وكانت القوافل تحمل البضائع الثمينة وكان المال عند العرب بعدد رؤوس الإبل.

ثالثا : موضوعات شعر الصعاليك :

1 – المغامرة : روح الصعلكة (أساسها) ، والسلك الذي ينتظم حياة الصعاليك من أولها إلى آخرها فمن أخطارها صنعوا أعرافهم ، ومن خروجها على المألوف سنوا لأنفسهم سننا يتبعونها ...

ولديهم نظام حياة مخالف للنظم، فأبغض ما يبغضه الناس الخوف والبطش والفتك

فنجد أنهم (الصعاليك) :

أن هذه الأشياء أحب إلى نفوسهم فهم أبناء الرهبة والرعب ، حلفاء الفوضى ،أعداء الطمأنينة والاستقرار .

2 – الفرار : الصعاليك خصوا بها ، وهي عند سواهم وهي أفعال يخجل منها العرب ومنهم هذيل .

لهذا هم يخرجون عن المألوف من خُلق العرب .

ومن هذا الخروج عن المألوف اعتزاز الصعاليك بالهرب ، والمباهاة بسرعة العدو ...

ومن هذا المنطلق ذهب تأبط شرا يفخر بسرعة عدوه ، فقرن نفسه بالجواد الأصيل والصقر الجبلي ، وغاظ خصومه بالفرار منهم وفي حوزته أموالهم ، فقال :

لا شيء أسرع مني ليس ذا عذر وذا جناح يجنب الريد الخفاق

3 – الخيل والسلاح والمراقب :هذا عمرو بن براقة يصف سيفه ، فيجعله أنفس ما قنى ، يذكر بياضه ، ومضاءه ، وطواعيه ، وغوصه في جسوم الخصوم وتبليغه صاحبه مآربه ، فيقول :

وكيف ينام الليل من جلّ ماله حسام كلون الملح أبيض صارم

غير أن الشيء الذي تميز به شعرهم هو وصف المَراقِب من شعاف الجبال على شعاب الأودية .

4 – التهديد : يهدد الشاعر خصومه بأنه سيعيد الكرة خاصة إذا أخفق في المرة الأولى (الخصومة غالبا مع السادة بسبب النبذ والخلع) فالنعمان بن منذر لم يسلم من مهاجمة قوافله من قبل الصعاليك

5 – التشرد والجوع: كانوا يؤمنون ويتفاخرون بالجوع.

خصائص شعر الصعاليك:

1 – قصر الأنفاس: شعر الصعاليك أكثر مقطوعاته قصيرة.

2 – الوحدة والموضوعية: ومنها ضعف الرابطة القبلية وهم من ضعفت صلته بالأرض والوطن وطردتهم قبائلهم.

3 – وحدة الغرض : أي لكل قصيدة مُطوّلة أو مقطوعة قليلة الأبيات توجد فكرة تنتظمها

4 – محاورة الحبيبة لا الوقوف على أطلالها.

5 - السرد القصصي : روح الصعلكة المغامرة، لهذا قد يحدث معه قصص كثيرة مخيفة وتصبح مع الزمن قصص هزلية.

6 - الواقعية الصُّراح (أي يؤرخ واقعه الذي هو فيه): مطابقة للأصل "حديث سردي".

7 - التخلص من المقدمات الطللية : لا يوجد فيها مقدمات غزلية فهم يحرصون على الوحدة الموضوعية.

8 – عدم الحرص على التصريع : بسبب الحرية التي كانوا يعيشون فيها (التي ترفض الخضوع لتقاليد قبيلتهم)

9 – عدم العناية بالخيال.

قضية الشنفرى

أقيموا بني أمّي صدور مَطيّكم فإنّي إلى قومٍ سِواكم لأميلُ

أمي: الأمة، إلى قوم: اشتدت الحاجة إلى التغيير، سِواكم: غيركم.

فهذه القصيدة يعاتب قومه أنهم أصبحوا شجعين وأنه يريد المغادرة بسبب أنهم انحطوا عن عادات قبيلتهم.

شعر الحوليات أدلة عقلية

بعض شعراء التكسب كانوا يقيدون أشعارهم ويُجهّزوا لها قبل إخراجها وبدون ترجّل وبذلك يستحيل أن يكون قد كتب زهير بن أبي سلمى معلقته قبل سنة من يوم صلح، فالقصيدة تكون عبارة عن عاطفة تُدفع من القلب إلى اللسان حتى اليد، فإن دارت سنة كاملة ذهبت قيمتها، فكيف لزهير بن أبي سلمى أن يعلم وقت الصلح.

آراء القدماء في الحوليات

1 – ذكر الجاحظ أن زهير بن أبي سلمى كان يسمي أكبر قصائده الحوليات، وأن معلقة زهير هير رأس الحوليات.

2 - وقال الحطيئة: "خير الشعر الحوليّ المُحكّك(المنقّح)".

3 – وقال الأصمعي: "زهير بن أبي سلمى والحطيئة وأشباههما عَبيد الشعر".

أي أن الشعر أخذ كل أوقاتهم وعزائمهم ولا يقولونه عفو الخاطر، ولا يقولونه سهواً وإنما يقولونه ويُنقّحونه مرات ومرات خوفاً من الخطأ وكذلك كل مَن جوّد في شعره ووقف عند كل بيت قاله وأعاد فيه النظر حتى تخرج أبيات القصيدة مستوية في الجودة، وكان يُقال عن عبيد الشعر الذين يحققون أشعارهم "لولا أن الشعر استعبدهم وتمكّن منهم".

سوّغ(برّر) الجاحظ مذهب مدرسة الحوليات وهم من أهل التكسّب "مَنْ تَكسّب بشعره والتمس جوائز الملوك لابدّ أنه نقّح وجوّدَ في شعره ليُعْجِبَ الآخرين ويُدهشهم، ولا بدّ أن زهير والحطيئة عبيد الشعر ليستوي على سوقه". (مخالف للعقل) - فالحِكم والأمثال تنتج من العقل اللاوعي، فالأعشى سُئِل عن هُريرة في معلقته "قال ما أدري" وهي:

وَدِّع هُرَيرَةَ إنَّ الرَكبَ مُرتَحِلُ وَهَل تُطيقُ وَداعاً أيُّها الرَجُلُ

4 – رأي ابن رشيق القيرواني في كتابه العُمدة: عَمِلَ قصيدته على وجه التنسيق والتنقيح، وربما رصد أوقات نشاطه فتباطئ عمله لذلك، كرّر قول الجاحظ ولكن استبدل النابغة بالحطيئة فقال: زهير والنابغة الذبياني عبيد الشعر، يريد أن يتكلفان إصلاحه وتنميته مما اعتبره من الزيف والهِمات ثم يشغلان به حواسهما وخواطرهما في سبيل إصلاح هذا الشعر.

5 – أ - وممن كان من استعبده الشعر طُفيل الغنوي وسمّيَ مُحَبِّراً لكثرة تنقيحه وإعادة كتابة القصيدة مرات ومرات.
ب - ومنهم الحطيئة وابن تولب وكان يسميه أبو عمرو بن العلاء البصري بالكَيِّس.
ج – والبغدادي في كتاب "خزانة الأدب": "ورُوِي أنّ زهيراً كان يكتب قصيدته في شهر ويُرتبها وينقحها في سنة".

آراء المُحدثين في الحوليات

1 – طه حسين: إن الشاعر الجاهلي ويمثله أوس بن حجر كان فناناً كان يتّخذ الشعر حِرفة وصناعة وفنّاً يُدَرّس ويُتعَلم. والقاعدة الأساس فنه هي مقاومة الطبع وعدم الاندفاع في قول الشعر مع السّجِيّة التي ترسل إرسالاً.
من خصاص مدرسة الحوليات عند طه حسين: المَجاز والاستعارة وكثرة التشبيه والمَجاز والتصوير المادي.
2 – شوقي ضيف: "كان التكلف أو الصنعة مذهباً عاماً في الشعر القديم وخير ما يمثله حوليات زهير وكان زهير يُعنى بتحقيق صُوره (أي يجعلها كأنها حقيقية للقارئ لدقة ما يضع في قصيدته).
كيف كان زهير يحقق في قصيدته؟
1 - استعمال الألفاظ والعبارات الموحية أو يجعل الأشياء منظورة (يصف الحدث بدقة):

إذا ما غَدَوْنا نَبْتغي الصّيْدَ يوماً — متى ذَرفوا فإننا لا نُقاتِلُ
فَبيْنَما نَبْغي جاءَ غُلامنا يَدُبّ — ويُخفي شَخصُهُ ويُغائلُ
فقالَ شِيكاكهنّ راتعاتٍ بِقفْرةٍ — بِمُسْتأسدِ حورِ المسائلُ
ثلاثُ أقواسِ السّراءِ ومِسْحَلٌ قد اخْضَرّ — مِنْ لَسّ الغُمَيرِ جحافِلٌ فتَلونَتْ

2 – استعمال الألوان والأصوات لجعل الصورة وكأنها تتحرك كرحلة الظعائن.
3 – التدويح: يلون مصوراته حتى تأخذ الشكل وتتم الوصف (أي يفصل كل شيء).
3 – استعمال ذكر الأزمنة والأمكنة بالتفصيل.
5 – يذكر الزمان ويصف المكان كمعلقته (في الديار)

قضية ظاهرة النحل والانتحال(مطلوب)

ظهرت في الأدب اليوناني والروماني.

وسبب هذه القضية "عدم التدوين والتقييد" فوقع ذلك في معظم الأمم السابقة

النحل: هو أن تعزو قصيدة أو قطعة أو بيتاً لشاعر وهو ليس الذي قاله ويقع منه ذلك سهواً أو عمداً.

يقول قتادة بن النعمان: "كان بشير بن أُبيرق يقول الشعر ويهجو به الرسول(ص) وينحله بعض العرب أن ينسبه عمداً" (أي ينسبه إلى غيره) فهو يعمل بذلك لجعل النبي(ص):

1- يقتل الذين يهجوه مع أنهم لم يقولوه. 2 – ليشهرها (ينسبها لأشخاص مشهورين)

ومنهم كعب بن زهير فهو نُسب إليه شعر كثير من هجاء النبي(ص) ولكن لماذا؟

1 – لعظم شأنه. 2 – لتنتشر (لأن كعب معروف جدا).

الانتحال: هو أن تدّعي شعراً لنفسك ما ليس لك وعُرف قديماً؛ وكان معروفاً فالرسول(ص) قال:" كذب النسابون".

لأن النسابون أوصلوا نسب الرسول(ص) إلى آدم فنسبه يُعرف سوى إلى إبراهيم.

من شعراء الانتحال

الطبقة الأولى من الرواة التي ظهرت علامات النحل والانتحال:

1 – بشير بن أبيرق (تم ذكره).

2 – عبد الله بن عمرو بن العاص لقوله: "إنّ من أهل العراق يكذبون ويُكذبون ويسخرون وكانت البصرة محط استقبال لمن يأتي من بغداد فكثرت فيها الأحزاب والملل".

3 - جاء نافع بن الأزرق إلى ابن عباس وقام يحدثه وكان يسأله عن الدين، فنهض ابن عباس يكلم عمرو بن ربيعة فغضب ابن الأزرق وقال: "نأتيك نسألك عن الحلال والحرام وتذهب لصبي من صبيان قريش، أفسد بنات قريش بشعره.

4 - حديث الأعشى مع قيس بن معدّي كرب الزبيدي جاء قيس إلى الأعشى، فدخل عليه وقال للأعشى: "أنت تسرق الأشعار"، فقال: قيّدني بقافية وسأكتب لك قصيدة فأعطاه قافية:

أَأَزمَعتَ مِن آلِ لَيلى اِبتِكارا وَشَطَّت عَلى ذي هَوىً أَن تُزارا... إلى أن قال

وَقَيَّدَني الشِعرُ في بَيتِهِ كَما قَيَّدَ الآسِراتُ الحِمارا".

5 – حديث النابغة الجعدي مع الحسن بن علي عندما قال له بيت:

الحمدُ للهِ لا شريكَ لهُ مَنْ لم يقُلها نفسُهُ ظلما

فقال الحسن هذه ليس لك وإنما لأمية بن أبي الصلت؛ وهو شاعر من الطائف وأشعاره كلها عن الآخرة ولم يسلم.

6 – وصف الفرزدق شعر علقمة بن عَبدة الفحل بأنه صعب النحل وقال أن كلامه لا يُنحل؛ لأن شعر علقمة له ميزات خاصة: "بالقوة وقد عارض امرؤ القيس".

7 – عبد الله بن السرج: كان من كُتّاب الوحي وكان يغير خواتيم الآيات وارتد عن الإسلام بعد موت الرسول(ص) الذي قد طرده من المدينة "طريد رسول الله" وفي زمن عثمان أعاده وقد كان سبب وفاته ثم عُيّن والي على مصر.

الطبقة الثانية من رواة النقاد

1 – أبو حاتم السجستاني، قال في بيت زهير بن أبي سلمى:

سَئمتُ تكاليفَ الحياةِ ومَنْ يعِشْ أبدَ الدهر حولاً لا أبا لك يسأمُ

فهو أستاذ الأصمعي، وينسب مجموعة من الأبيات في معلقة زهير إلى أنس بن زميم.

2 – أبو عمرو بن العلاء البصري يقول عن أبو عمرو الشيباني:

"حيث يُقال أن أبو عمرو الشيباني" كان يُنكر نسبة معلقة عنترة في أبياته وهي: هل غادر الشعراء...

وهو أساس المعلقة حتى سمعَ (أبي حزام العكلي يرويه له): "أقسام النحل عند الأصمعي" وأقسامه هي:

أ - فالأصمعي شكّ بالشعر (منه ما هو عام مطلق مثل قوله: "أقمتُ بالمدينة زماناً لم أرى فيها قصيدة صحيحة إلا مصححة أو مصنوعة".

القول الثاني للأصمعي: "إن كثير من شعر امرؤ القيس من صعاليك كانوا معه".

ونرد عليه: لأنه لا يمكن أن يختلط شعر صعلوك بشعر أمير.

القول الثالث: "أكثر شعر المهلهل محمولٌ عليه"

وهذا بسبب نتيجة ظروف حرب البسوس التي استمرت 40 عاماً فلم يكن تثبت فيه من الأشعار والروايات فكان تغلب يهجون بنو بكر.

ب – القسم الثاني من أقسام النحل عند الأصمعي: منه ما هو مخصص في بيت أو بيتين أو أبيات.

قول الأصمعي: شك في معلقة قصيدة عنترة: يا دار عبلة بالجواء...

وقول الأصمعي أن أبيات معلقة زهير أنها كانت لصرمة بن أنس الأنصاري.

- أبو عبيدة بن المثنى أورد أبيات لامرؤ القيس:

وأركبُ في الروعِ خيقانة كسى وجهها سعف منتشر

3 – الجاحظ: يشير إلى الموضوع والمنحول على ثلاثة طرق:

أ – ينسب الشعر إلى شاعر بعينه ثم يعقب فيرى أن هذا البيت ليس له وقال: "من منحول الشعر النابغة".

ب – يحزم أن هذا الشعر منسوب إلى هذا الشاعر، فمن منحول شعر النابغة:

فألْفيْتُ الأمانةَ لم تَخُنْها وكذلك كانَ نوحٌ لا يخونُ

عندما هرب النابغة من النعمان باتهامه أنه يحب المتجردة كما ذكر سابقاً، وبدأ يرسل اعتذارات وقال له:

فإنّكَ كالليلِ الذي هو مُدْركي وإنْ خِلتُ أنَّ المنْتأى عنك واسعُ

حكى الأصمعي عن ابن أبي طرفة: كفاك من الشعراء أربعة: زهير إذا رغب، والنابغة إذا رهب، والأعشى إذا طرب، وعنترة إذا كلب. وزاد قوم: وجرير إذا غضب"،

ج – أورد أبيات زعم الرواة لغيره، وطعنوا في شعر بِشْر بن أبي خازم ومنها نظام الكواكب وأن الشهب لم تكن قبل الإسلام.

3 – ابن قتيبة: أ - يقول أن هذه الأبيات ليست للأعشى وهي:

إنَّ مَحَلاً وَإنَّ مُرتَحِلاً وَإنَّ في السَفرِ ما مَضى مَهَلا

اِستَأثَرَ اللهُ بِالوَفاء وَبِالعَدلِ وَوَلّى المَلامَةَ الرَجُلا

يقول أن هذه القصيدة مصنوعة لا قيمة لها ولا يوجد بها خير إلا بيت

"يا خير من يركب المطيّ ولا يشرب بكأس قد بخلا"

وأنه لا بيت مستجد وأنها منحولة ولا يوجد سوى هذا البيت وهي قصيدة عظيمة.

ب – قول ابن قتيبة في شعر لبيد وهي:

وكلُّ امرىءٍ يَوْماً سيعلمُ سعيهُ إذا كُشِّفَتْ عندَ الإلَهِ المَحاصِلُ

وقال أن هذا البيت ليس للبيد وإنما قيل بعد الإسلام "متأثر بالآية (وحُصّلَ ما في الصّدور)"

نرد عليه: أن لبيد عشا قبل الإسلام 60 عاماً وبعد الإسلام كذلك (ما وجه الاعتراض لابن قتيبة على لبيد أنه لم يقلها قبل الإسلام؟ لا يوجد سوى أنه متأثر بآية ولكن ما الدليل؟ قد يكون أن البيت بعد الإسلام ولكن في الجاهلية كانوا يعرفون الله، ومثله أمية بن الصلت حيث كان كل شعره كله عن الآخرة.

4 – عبد الملك بن هشام (صاحب كتاب "السيرة"): هذّب سيرة ابن إسحق من المغالطات الموجودة فيها(أخرج منها الموضوع والغير صحيح) حيث ابن إسحاق ذكر أشعار لآدم وعاد ثمود كما ذكرنا سابقاً حيث قال "إنّي تاركٌ أشعار ذكرها ابن سحاق لم أرَ أحد من أهل الشعر يعرفها".

5 – أقوال ابن سلام: يقول ابن سلام الجمحي: " ما اتفق عليه العلماء لا يُخرج منه وإخراج المفتعل والمصنوع".

ويقول:" من الذين أفسدوا الشعر وهجنوه هو محمد بن إسحق في السيرة النبوية" ويذكر في طبقات الشعراء:" أنّ مَنْ أفسد الشعر وهجّنه وحمّل كل غثاء فيه "محمد بن إسحاق" وكان محمد بن إسحاق من علماء الناس في السيرة فقبل الناس ما جاء منه في السيرة".

فيقول ابن إسحاق:" لا عِلمَ لي بالشعر" وإنما يؤتى إليّ فأحمله في السيرة النبوية"

ويقول ابن سلام عنه:" مَنْ أوصل الشعر من عاد وثمود إليه؟".

وسبب النحل عن ابن سلام حيث يقول في العصر الأموي أن بعض القبائل قالوا ألسنة شعراء قبل الإسلام لأنه الأمويين أعطوا مكانة للقبائل التي كانت مكانتهم عالية فجعلوا ينحلون الشعر ليرفعوا مكانتهم "فلما راجعت العرب الرواية وذكر أيامها، استقلت بعض الشعراء أشعارها".

قول ابن سلام عن أبي سفيان بن الحارث "لم يسلم إلا بعد فتح مكة" وهو ابن عم رسول الله وكان موته جوهرياً وكان أشبه الناس بالرسول. وله شعر في الجاهلية فُقِد ولم يصل إلينا منه إلا القليل لأنه لا يوجد هناك تدوين، الأشعار التي كانت تهجى به لرسول الله لم تُروى.

ويقول: " ولسنا نَعُدُّ ما يروي ابن إسحق له وما يروي لغيرهِ شعراً وأنْ لا يكون لهم شعر فهو خيرٌ لهم من أن يكون".

6 – كلام ناصر الدين أسد عن ابن سلام الجمحي في كتابه يقسم حديثه إلى قسمين (من أسباب النحل عند الشعراء):

أ – قواعد عامة وأحكام مرسلة يطلق فيها القول إطلاق ولا يمثل (التخصيص) مثل قوله:

"وفي الشعر المصنوع مفتعل موضوع كثير لا خير فيه ولا حجة في عربيته، هذا الكلام أطلقه إطلاق عاماً لم يخصص وقد تداركه قومٌ من كتاب إلى كتاب لم يأخذوه عن أهل البادية وأهل العلم".

- ويقول ناصر الدين أن شعراء القرن الثاني والثالث هجري هم من نقّحوا الشعر وأنه من بعدهم ولكن هناك من خالفهم فمنهم طه حسين الذي كان يشكك بأشعار الجاهلية.

مثال: في قول ابن سلام:" شك في شعر عبيد بن الأبرص قال أنه قديم الذكر، عظيم الشهرة، شعره مضطرب ذاهب ولا أعرف له إلا قصيدة واحدة (أي معلقته)؛ وهذا مثال على التخصيص في ابن سلام.

وسبب آخر أن قصائده غير مذكورة لأن امرؤ القيس طاردهم ليأخذ ثأر أبيه فعبيد من بني أسد.

أولا: كان يخصص أبياتاً أو قصيدة ويذكر اسم الشاعر ويذكر أبيات القصيدة.

ذكر ابن سلام في كتابه "قصة سؤال عمر بن الخطاب عن البيت التالي:

فألفيتُ الأمانةَ لم تَخُنها وكذلك نوحٌ لا يخونُ

فينسبوها إلى النابغة الذبياني (إلا أن بعض النقاد كانوا ينفون ذلك) لأنه ذكر نوح فيقولون كيف يعرف؟ ولكن هذا الكلام غير صحيح لأنه نوح معروف من قديم.

وقال ابن سلام:" ولا اختلاف أن هذا مصنوع يُكثر فيه الحديث ويُستعان به السهر عند الملوك"، وقال: "وقد أجمع أهل العلم أن النابغة لم يقل هذا ولم يسمعه عمر بن الخطاب".

ب – ثانياً: دون تخصيص اسم الشاعر بمثل قصة أبو عبيدة، ابن تميمة،

وكذلك متمم بن نويرة:" شاعر إسلامي من أهل المدينة قُتل أخاه على يد خالد بن الوليد بالخطأ، وفي حديث النبي(ص) مَنْ قال (الشهادة) فقد عُصِبَ دمه مِنّا"، إلا أن هذه القبيلة امتنعت الزكاة، ووقتها أمر أبو بكر بقتل من يمتنع عنها، فأغار عليهم خالد بن الوليد وتزوج بامرأته قبل نهاية العُدّة، وأبكى المتمم الناس على مقتل أبيه.

- ويقولون عن أم أوفى في قصيدة زهير أنها زوجته ولكن هذا غير صحيح فزوجته أم كعب ولهذا يقولون أنه قصيدته منحولة إلا أنه قال القصيدة في الصلح يمدح.

وقال ابن سلام: "ومن هذا الشعر قصيدة أبي طالب في مدح الرسول:

وأبيضُ الغمامُ بوجهه ربيعُ اليتامى عِصمةٌ للأرامِلِ

مع أن هذه القصيدة لأبي طالب، فأبو طالب لم يكن شاعر وقيلت بحوالي بعشر أبيات إلا أنها وصلت للمئات حيث أضيف عليها الكثير.

ضعف الشعر في صدر الإسلام

له جانبان:

1 – انصراف الناس عن الاهتمام بالشعر والشعراء (أي انصرافهم عن نَظم الشعر وروايته).

2 – هبوط المستوى الفني لأغلب نماذج الشعر الإسلامي.

آراء القدماء

الجانب الأول (انصراف الناس...)

يقول ابن سلام في كتابه: قول عمر بن الخطاب: "كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه، فجاء الإسلام فتشاغلت العرب عن الشعر إلى الجهاد والقرآن"

ثم علق ابن سلام قائلا: جاء الإسلام فتشاغل العرب عن الشعر فتشاغلوا بالجهاد فلما كثر الإسلام وجاءت الفتوحات واطمئن العرب، فعمدوا إلى رواية الشعر فلم يجدوا ديوان مدوّن ولا كتاب مكتوب فألّفوا ذلك وقد هلك العرب ما هلك في حفظ الشعر وبقي قليله وضاع أكثره وهذا أحد أسباب ضعف الشعر في صدر الإسلام.

رأي ابن خلدون: "يقول انصرفت العرب عن ذلك(أي نظم الشعر) وما أشغلهم من أمر الدين والنبي والوحي وما أدهشهم من أسلوب القرآن ونظمه وما خرسوا عن ذلك وسكتوا عن الخوض في الشعر والنظم زمان".

ثم استقر العرب بعد ذلك ولم ينزل الوحي بتحريم الشعر ثم علم العرب أن الرسول كان يستمع إلى الشعر وشجع الشعراء للدفاع عن الإسلام فرجع بعد ذلك العرب دينهم من الشعر.

الجانب الثاني (هبوط المستوى الفني)

ذهب الأصمعي إلى أن الشعر نكد باب للشر فإذا دخل في باب الخير لانَ (من اللين).

بمثل: حسان بن ثابت علا شعره في الجاهلية فلما دخل شعره في باب الخير في مراثي النبي(ص) وجعفر وحمزة ضعف الشعر في هذا المراد.

آراء المحدثين

أحمد شوقي ضيف: "رفض القول في ضعف المستوى الفني للشعر في الإسلام فقال أن الشعف في شعر حسان سببه هو اختلاط شعره بأشعار الأنصار".

عبد القادر القط: "يقول سبب ضعف الشعر في صدر الإسلام أن العرب لم يستطيعوا استيعاب القيم الجديدة للدين الجديد واحتاجوا إلى مدة من الزمان لاستيعابها وأن عصر الفحول من قد انقضى وولى".

محمد عثمان: "ردّ على رأي شوقي ضيف وقال ليس صحيحا أن سبب ضعف الشعر حسان اختلاطه بشعر الأنصار ولكن يقول إن الضعف قد تطرّق إلى الأشعار الصحيحة النسبة إليه".

موضوعات الشعر في صدر الإسلام

1 – الجهاد والفتوحات والدعوة الإسلامية (انتصارات المسلمين في المعارك) فيه أن إشارة للنصر ورثاء الشهداء وكان الشعراء يصورون الشعر أنه من عند الله وأنه تحقق في صدر الإسلام لأن الرسول بينهم فقد وصفوا الرسول ومدحوه في أشعارهم وكانوا يقضون في أشعارهم شيئا من الدعوة الإسلامية وأصبحت العصبية بعد الإسلام عصبية حب الرسول(ص) والإسلام.

وفينا رسول الله والأوس حولهُ له معقلُ منهم عربي وناصرُ

من أهم شعراء هذا الموضوع:

حسان بن ثابت، عبد الله بن رواحة، كعب بن زيد.

من شعراء الكفار من غير اليهود:

1 – أبو عزة الجمحي. 2 – أبو عبد الله بن الزبعرى. 3 – هبير بن أبي وهم.

4 – مسامح بن عبد مناف. 5 – قتيلة بن الذخر. 6 – أبو سفيان.

7 – ضمار بن الخطاب.

2 – مديح الرسول(ص) كانت القبائل تُرحل الوفود إلى المدينة المنورة بعد استقرار الأوضاع، وأنشد الزبرقان شعراً في الرسول(ص) بين يديه ووفد همدان وكعب بن زهير، وأبو سفيان، أبو عبد الله بن الزبعرى.

3 – رثاء الرسول ومن الشعراء الذين رثوه:

عاتكة بن زيد، حسان بن ثابت، كعب بن مالك، أم أيمن.

4 – شعراء اليهود وقفوا مع قريش إلى جانب الكفار وردّوا قتلاهم وخانوا عهد الرسول(ص) في معركة الخندق ورثوا قتلى الكفار.

كعب بن الأشرف، جبل بن جواد، سماك اليهودي، أوس بن ديني، القرطبي.

5 – الوفود التي وفدت على الرسول(ص)

وفد بني تميم، ووفد همدان، ووفود فردية ككعب بن زهير.